

تعويذات لفتح الباب الكبير
عبد السلام المساوي

رشفْتُ من حزني ورنوت إلى سنديان الباب
عددتُ تسعين قطعة من سواد النقد القديم
سمرها جدُّ قُرْنفلا من حديدٍ وترحاباً لمعدن القلب
الوافد على الدار.. عددتُ طَرَقَات طفل
كنتُهُ وعددتُ الحنين.. وسمعت أصوات
اللّحي تنهَجِي الأسماء الحسنى في انحناء
الشيوخ العجائز على غزل الصوف

جلايبب للرياح

للليل الصلاة

لشمس الحصاد

لبحر السفر

للعيد العنيد

عددت ثقبوا لرصاصٍ يدخل في تاريخ الوطن

وما يزال دخان الذكرى يملأ خيشوم امرأةٍ

لم يقتلها الوقت ويتداخل ورائحة الزيت

في طعام المجاهدين ليتدلَّى عنقودُ الكلام:

هنا تعشَّى عبدُ الكريم

هنا كان ينام سيد الرجال

هنا تزوجت عذاري البيت

هنا أَرَقْتُ خِتَانَكَ وَعَجْنْتُهُ

بماء الورد وحبوب البارود

هنا .. هنا .. هنا ...

كان الباب شامخا كقرون الدنيا ولوئنه كان من رماد

أيتها السنديانة العظيمة

من أي غابة أسطورية جَبُوكِ

وعمدوك لِيُسَمَّوكِ الباب الكبير؟

زمن الدهشة يبدأ:

جلابيبُ سوداء .. مآزرُ الحرير

دينانُ العسل .. جِرار اللين

وسبلال التين والرمان .. حسرة

حديثه وموال زفرةٍ على الخير

القديم، وحسرة أخرى على السيد

المقتول ذات طلقة في غابة الوليِّ

الصالح .. دموعك أيتها الثَّالِكة لا

تختزل الرحيل، والحصانُ العائد من غير

فارس لن يحمل بعد اليوم رجلاً

بقامة الشموخ .. عَدَلِي أيتها المرأة

المحفورة الجفنين موازين البكاء

واضبطي الزمن على تاريخ الفواجع

والدم المخملي ..

للعتبة المذبوحة تحت أقدام الباب الكبير

شرحُ الدخول والخروج:

كَنْ يَقْفُنَ فِي عَرِصَةِ الدَّارِ
وَوِشْمُهُنَّ مَرْفُوعٍ لِبَهَاءِ الْغِنَاءِ
وَيَصُوبِنَ فِي جَلَالِ دَفُوفِ المَاعِزِ
المَطْهُو لِقِرَآنِ المَرْتَلِينَ،
وَيَسْكِبِنَ الأَلْحَاطَ عَلَى دُجَى الشَّوَارِبِ
الْخَشْنَةَ:

يَا بُسْتَانِي المَمْعَنُ فِي الأَخْضَرِ
وُرَيْقَةٌ .. وَرَيْقَةٌ كُنْتَ تَسْقُطُ
وِثْمَةٌ تَبْقَى
مَنْ يَخْتَارُ العِشْقَ طَرِيقًا
لَيْسَ لَهُ سِوَى أَنْ يَشْقَى
يَا قَبْرِي المَحْفُورِ جَنْبِ الدَفْلَى بِالأَمْسِ ..
أَيُّهَا الرَّقِيبُ الذِّي يَتَّبَعُنِي كَنَحْسِي
أخْبِرْنِي: كَمْ قَطْرَةَ دَمٍ سَيَسْكِبُهَا
جَسَدِي المُحْنَطُ فِي ثِيَابِ العَرَسِ
حَتَّى لَا يَقْتَلَنِي عَرَسِي؟! !

سَأَسْتَعِيدُ أَيُّهَا البَابُ الكَبِيرُ طَرَقَاتِي الصَّغِيرَةَ
لَتُرْسِمَهَا طِفْلَةٌ عَلَى كِرَاسَةِ النُّبُوءَةِ وَتَلَوْنَهَا بِرَحِيقِ
الأُقْحَوَانِ المُتَسَيِّبِ هُنَا وَهِنَاكُ .. وَسَأَسْتَعِيدُ بِخُورِ
الأَرْوَاحِ مِنْ تَارِيخِ السُّلَالَةِ إِلَى أَوَّلِ جَدِّ مَقْدَّسٍ رَمَى
أَسْوَارَهُ عَلَى مَحِيطِ الأَرْضِ وَأَغْلَقَكَ عَلَى سِرِّ المِضَاجِعَاتِ،
وَسَمَّرَ فِي الجِدَارِ هَذِيانَ رَسَامٍ مَجْهُولٍ يَحْكِي قِصَّةَ
التَّكْوِينِ بِلَوْنِ الصَّرَاحِ:

زوجان يحجبان الخصوبة بمدادِ
الطبيعة ويؤرخان لهدير الحرمان
والشيطان ..

كبتُ خرافي قبل أن يشرق الضوء
من دم إسماعيل

سيدي يُسرج أسداً أصفرَ ويغادر
سجن البلاد

فارسٌ يحرر لونه من أصفاد الإيديولوجيا
ويقود عبلةً في هودج الصحراء ..

دم أخضر .. عشب أحمر .. نخيل المدينة ..
آية صغيرة وبلقيس توظف شهوة الجن
بالسيقان المخدوعة ..

وسأستعيد أيها الباب وجوه من كانوا .. ومن غابوا

صُبَّار الصباح لخيال القادمين من فاس .. ولوز

القلب لمن يعشقه القلب .. ووجه الله في لوحى الصغير .

يا زئير الباب الكبير

يوقظه الداخل والخارج من خام الطبيعة

ركب لي التهوية القديمة لنوم الرضيع

وأنين الرّحى على حبات العرق والشعير .

رشفْتُ من تعبي ورنوت إلى سنديان الباب

عددتُ النقد القديم/ قُرُنفل الحديد

هياتُ كَفِّي .. دفعتُ

كان الباب الكبير مشرعا على بحر الخلاء

ويدي ممدودة في العراق !

يناير 1990